IRES
المعهد الملكي للدراسات الإستراتيجية
ⵉⵔⵉⵙ ⴰⴳⵯⵎⴰⵏ ⵏ ⵜⵖⵓⵔⵉⵡⵉⵏ ⵜⵉⵙⵜⵔⴰⵜⵉⵊⵉⵜⵉⵏ
Institut Royal des Etudes Stratégiques
Royal Institute for Strategic Studies

منتدى الفكر والثقافة

تحالف مراكز البحوث والثقافة العربية

ندوة: «الهوية الوطنية: الأدوار والتحديات»

الجلسة الثالثة: "العولمة الإعلامية" وتأثيرها على بنى الثقافة والقيم والوطنية

مداخلة السيد محمد توفيق ملين

مدير عام المعهد الملكي للدراسات الاستراتيجية

دولة الإمارات العربية المتحدة، أبو ظبي

10 أكتوبر 2024

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أصحاب المعالي والسعادة، السيدات والسادة الكرام،

أود في البداية أن أتقدم بخالص الشكر والامتنان لمعالي الأستاذ الدكتور جمال سند السويدي، نائب رئيس مجلس أمناء مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ولسعادة الأستاذ عيسى الشايجي، نائب رئيس مجلس مؤسسة الأيام للنشر وكذا للأمانة العامة لتحالف مراكز الفكر والثقافة العربية، على حفاوة الاستقبال وحسن تنظيم هذه الندوة.

أصحاب المعالي والسعادة،

تحيل العولمة الإعلامية على الظاهرة التي يتم من خلالها نشر الخبر الإعلامي على المستوى العالمي، متجاوزة الحدود الوطنية للدول والثقافات والأيديولوجيات والحضارات[i]. وتتجلى هذه العولمة تحديدا عبر العناصر التالية:

- التقدم التكنولوجي الذي أحدث ثورة في وسائل الإعلام من خلال القنوات الفضائية، والإنترنت، وشبكات التواصل الاجتماعي، والذكاء الاصطناعي ومنصات البث المباشر. فأصبحت سرعة تدفق الأخبار وتأثيراتها السياسية والسوسيو ثقافية غير مسبوقة في تاريخ البشرية.

- الولوج شبه العالمي إلى المعلومة: بات اليوم بإمكان أي شخص يتوفر على اتصال بالإنترنت الاطلاع على بيانات صادرة من أي مكان في العالم، مما نتج عنه دمقرطة الوصول إلى المعلومات، وفي الوقت نفسه، خطر التلاعب بالرأي العام الوطني والدولي على حد سواء.

- تزايد تأثير وسائل الإعلام الدولية، بالإضافة إلى المنصات الرقمية (يوتيوب و"إكس" (تويتر)، و"تيك توك"، ...) التي تبث، دون انقطاع، محتويات تساهم في تشكيل الرأي العام والتلاعب به على الصعيد العالمي.

وباختصار، قد يكون للعولمة الإعلامية، وفقا لتقارير منظمة العمل الدولية، تداعيات عميقة على الثقافات الوطنية ومصفوفة القيم، بما في ذلك قيمة حب الوطن والوطنية[ii].

وبالفعل، تنقل وسائل الإعلام الغربية السائدة مُثُلا ومعاييرا، ولا سيما مفاهيم الديمقراطية وحقوق الإنسان والحريات الفردية، والتي يقتصر تطبيقها على بلدانها على حساب الجنوب الشامل (Global South) ، الذي يرى فيها ممارسة "الكيل بمكيالين" وتجسيدا لازدواجية المعايير.

أصحاب المعالي والسعادة،

تبث وتنشر وسائل الإعلام منتجات من المحتمل أن تفضي إلى ثقافة مشتركة على نطاق دولي، وأن تشجع على تهجين ثقافات محلية لخلق ثقافات أخرى جديدة.

في المقابل فإنها تنشر رؤى وتمثلات حول العالم وتشجع على أنماط عيش تتعارض أحيانًا مع القيم الثقافية الوطنية. وغالبًا ما تستدعي هذه المواجهة نقاشات حول الحفاظ على هذه القيم الوطنية في محاولة للتصدي لهيمنة التأثير الخارجي (كمثال لهذه الهيمنة تجدر الإشارة إلى تأثير الموجة الثقافية لكوريا الجنوبية في الخارج، "هاليو")[iii]. علاوة على ذلك، يمكن أن يتسبب توسع وسائل الإعلام الدولية في الاقتلاع اللغوي وإلى تفكك الهويات الوطنية.

وعلى مستوى آخر، فإن السرعة التي يتم بها الوصول إلى المعلومات وتقاسمها تتحدى قدرتنا على التحليل النقدي للمعارف المتاحة. وعندما تقترن هذه الظاهرة بانتشار "الأخبار الكاذبة"، تنشأ بيئة تتداخل فيها الحقائق العلمية ونظريات المؤامرة والآراء غير الموضوعية، مما يتمخض عنه شبه روايات علمية تفاقم اللبس وعدم الثقة في القنوات الإخبارية.

بالإضافة إلى ذلك، تجدر الإشارة إلى تسارع وتيرة الحروب المعرفية، والتي تحيل على الفعل المتمثل في التعلم وإنتاج المعارف أو دحضها وترتبط باستخدام المعلومات التضليلية كسلاح للتأثير على الرأي العام.[iv] إن هذه الحروب المعرفية "تشكل ذلك الانزلاق المنطقي من حرب المعلومات إلى إرادة لتدمير أنماط تفكير الأفراد على نطاق واسع وبطريقة مستدامة".[v]

ومن المرجح أن يؤدي ظهور الأجيال الجديدة من الويب (5.0 او ما فوق) إلى استفحال هذا التوجه. وبالفعل، يمكن أن يتسبب الانغماس الكلي للمستخدمين في الإنترنت، لا سيما من خلال إنشاء الصور الرمزية (أفاتار) في عالم التحول (ميتافيرس)، إلى جعل الحدود بين العالم الافتراضي والعالم الواقعي أكثر هشاشة. وسينجم عن الإفراط في المعلومات واستغلالها لأغراض متنوعة إلى تغيير عميق في إدراكنا للواقع؛ وهذا ما سيسفر عن إضعاف أسس القيم المشتركة والتماسك الاجتماعي.

أصحاب المعالي والسعادة،

لم يكن العالم العربي في منأى عن الرهانات المذكورة أعلاه والمرتبطة بالعولمة الإعلامية[vi] التي أحدثت تغيرات ثقافية ومجتمعية ملحوظة.

فانجذاب عدد كبير من وسائل الإعلام العالمية في صيغها الورقية أو الافتراضية للمنطقة مكن من جهة المواطنين العرب من الانفتاح النسبي على العالم الخارجي. ومن جهة أخرى، أثرت هذه العولمة الإعلامية بشكل سلبي على الثقافات المحلية، حيث تحتل غالبا الإنتاجات الغربية مكانة خاصة في بعض الفضاءات الإعلامية العربية.

كما أن إنشاء القنوات الفضائية العربية ذائعة الصيت والمنصات التربوية والثقافية التي تبث باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية، يمثل جهداً ملموسا من أجل تفكيك المنظومة الإخبارية الغربية.

ومع ذلك، عززت بعض وسائل الإعلام العربية التي تبث على المستوى الدولي، من خلال مساهمتها في هذه العولمة الإعلامية، انتشار بعض القيم الغربية عوض السعي إلى الحفاظ على هوية بلدانهم الأصلية.

أصحاب المعالي والسعادة،

الأبحاث الوطنية حول الرابط الاجتماعي في المغرب والتي أنجزها على التوالي المعهد الملكي للدراسات الاستراتيجية في سنوات 2011 و2016 و2023، والتي شملت عينة تفوق 6.000 مغربي ومغربية عبر ربوع المملكة، عن زيادة هائلة في استخدام شبكات التواصل الاجتماعي في الحياة الاجتماعية والمهنية للمغاربة، بينما يبدو أن قنوات الإذاعة والتلفزيون، التي كانت تتمتع بسمعة طيبة سنة 2016، سجلت، سنة 2023، تآكلا في مساهمتها في تعزيز الرابط الاجتماعي.

ويدل هذا الارتفاع في الاتصالية الإلكترونية على الدور المهيمن الذي باتت تلعبه الشبكة الافتراضية في التنشئة الاجتماعية وفي تشكيل السلوكات والممارسات الفردية والجماعية لما لا يقل عن ثلاثة أرباع المغاربة، على الرغم من الشكوك المُعرب عنها حول مخاطر الإنترنت: إذ يعتقد 70% من المغاربة أن الفضاء الافتراضي يشكل خطرًا على الرابط الاجتماعي في المغرب. ويساهم هذا الفضاء، على وجه الخصوص، في انتشار الأخبار الكاذبة (85%) وله آثار سلبية على الصحة الجسدية والعقلية للأطفال (89%).

بالإضافة إلى ذلك، أبرزت النسخ الثلاث للبحث الوطني أن التغيرات التي أحدثتها العولمة الإعلامية والثورة التكنولوجية لا تزال بعيدة كل البعد عن قلب السلوكات الفردية وزعزعة الهوية الوطنية المغربية. في المقابل، لا بد من الإقرار بأن تأثيرها على الرابط الاجتماعي بدأ يظهر بشكل جلي لدى الأشخاص الذين يقطنون في المناطق الحضرية وضمن صفوف جيل الشباب والأفراد ذوي مستوى ثقافي واقتصادي عالي.

أصحاب المعالي والسعادة،

أمام استفحال واحتدام العولمة الإعلامية، تواجه الدول العربية تحديا يتمثل في تحقيق توازن يعزز الإثراء الثقافي لشعوبها دون المساس بالهويات والقيم الوطنية. وفي هذا الصدد، نتقدم بالمقترحات التالية:

- تعزيز قدرات الهيئات العربية المعنية بتنظيم وتقنين وسائل الإعلام وملائمتها مع العهد الرقمي، وتحديث الإطار القانوني والسياسات الإعلامية بغية مراعاة التطورات التكنولوجية، وحث هذه الهيئات على تطوير أدوات تساعد على كشف وتحليل ومحاربة المحتويات الإعلامية التي من شأنها المساس بالقيم الإنسانية التي يدعو إليها الإسلام أو التي تشجع على التدخل الأجنبي في الشؤون السياسية للدول العربية.

- مد وتحصين المواطنين العرب بالمعرفة كسلاح لمواجهة التضليل الإعلامي و"الأخبار الزائفة"، من خلال رفع مستواهم التعليمي وتنمية الحس النقدي لديهم.

- تنظيم مناظرات على الصعيدين الوطني والعربي بهدف فهم رهانات العولمة الإعلامية وتشجيع البحث العلمي للإحاطة بتأثيراتها على المستويين الثقافي والهوياتي.

- إدراج النهوض بالثقافات الوطنية والحفاظ على اللغة العربية والتقاليد وتعزيز الشعور الوطني ضمن الالتزامات التعاقدية لوسائل الإعلام، وذلك من خلال إرساء "يوم الهوية الوطنية" للاحتفاء بقيم الوطنية على مستوى المنطقة العربية.

- إدماج قيم الحس المدني والوطني في برامج الوعظ الديني وخطب الجمعة كمكون محوري في الميثاق المجتمعي الإسلامي المنفتح والمعتدل.

- تشجيع بروز جيل جديد من المؤثرين الافتراضيين يكون أكثر احترامًا لمبادئ الإسلام السمح وللقيم العالمية.

---

[i] Beyond technophilia: A critique of media globalization. Wincharles Cocker. Taylor & Francis. Received 24 Jun 2022, Accepted 08 Jun 2023, Published online: 22 Jun 2023

[ii] Social consequences of the globalization of the media and communication sector: some strategic considerations. Seán Ó. Siochrú. Policy Integration Department Word Commission on the Social Dimension of Globalization International Labour Office Geneva. May 2004

[iii] "هاليو" (Hallyu). مفاهيم ناشئة. منصة الذكاء، المعهد الملكي للدراسات الاستراتيجية (IRES)، 5 شتنبر/سبتمبر 2024

[iv] De la légitimité de la guerre (عن مشروعية الحرب المعرفية cognitive)، بقلم كريستيان هاربيولوت (Christian Harbulot):
https://shs.cairn.info/revue-internationale-et-strategique-2004-4-page-63?lang=fr&ref=doi

[v] L'attaque des cerveaux : qu'est-ce que la guerre cognitive ? - La Revue d'Histoire Militaire (larevuedhistoiremilitaire.fr)

[vi] Uncivil War of Words: Media and Politics in the Arab World